٤ ر.س

نُورُ التَّقْوَى

وَظُلُمَاتُ المَعَاصِي

فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ



تأليف الفقير إلى الله تعالى

الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ⓒ سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف .
نور التقوى وظلمات المعاصي . - الرياض .
١٩٢ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم .
ردمك ٠ - ٢ - ٥٨٠ - ٣٥ - ٩٩٦٠ .

١- الإيمان (الإسلام) ٢- التقوى
٣- المعاصي والذنوب أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٩/٤٣٢٠

رقم الإيداع: ١٩/٤٣٢٠
ردمك: ٢ - ٥٨٠ - ٣٥ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في «نور التقوى وظلمات المعاصي» أوضحت فيها نور التقوى، ومفهومها، وأهميتها، وصفات المتقين، وثمرات التقوى، وبينت فيها: ظلمات المعاصي، ومفهومها، وأسبابها، ومداخلها، وأصولها، وأقسامها، وأنواعها، وآثارها، على الفرد والمجتمع، وعلاج المعاصي وأصحابها.

ولاشك أن الله عز وجل يحب المتقين، ويجعل لهم المكانة العالية في الدنيا والآخرة، ولهم الفوز والفلاح في الدارين، ويهديهم الله للعلم النافع والعمل الصالح، ويحصل بها تيسير الأمور، ويجعل الله للمتقين نور العلم والإيمان يمشون به في ظلمات الجهل، والضلال، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وأما أصحاب المعاصي فهم يتقلبون في ظلماتها، ويحرمون نور العلم النافع، ويجدون الظلمات في قلوبهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة: ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن،

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق»[١].

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وقد قسمت هذا البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: نور التقوى وثمراتها:

المطلب الأول: مفهوم التقوى.

المطلب الثاني: أهمية التقوى.

المطلب الثالث: صفات المتقين.

المطلب الرابع: ثمرات التقوى.

المبحث الثاني: ظلمات المعاصي وأضرارها:

المطلب الأول: مفهوم المعاصي وأسماؤها.

المطلب الثاني: أسباب المعاصي.

المطلب الثالث: مداخل المعاصي.

المطلب الرابع: أصول المعاصي.

---

(١) ذكره ابن القيم في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص١٠٦.

المطلب الخامس: أقسام المعاصي.
المطلب السادس: أنواع المعاصي.
المطلب السابع: آثار المعاصي على الفرد والمجتمع.
المطلب الثامن: العلاج.

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يجعل هذا العمل مباركاً، خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لي في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه، فإنه عز وجل خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، نبينا محمد وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر في ليلة الأربعاء، الموافق ١٧/ ١٠/ ١٤١٩هـ

المبحث الأول: نور التقوى وثمراتها

○ المطلب الأول: مفهوم التقوى:

التقوى لغة: الحذر، يقال: اتقيت الشيء، وتَقَيْتُهُ أتقيه تُقَى، وتقيَّةً، وتِقاءً: حذرتُه. وقوله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[1] أي هو أهلٌ أن يتقى عقابه، وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته[2].

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه: من غضبه وسخطه، وعقابه وقايةً تقيه من ذلك. وهو فعل

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٥٦.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، باب الياء، فصل الواو، مادة «وقي»، ١٥/ ٤٠٢، والقاموس المحيط، باب الياء، فصل الواو، مادة «وقى»، ص ١٧٣١.

طاعته واجتناب معصيته[١] ، فظهر من ذلك أن حقيقة التقوى كما قال طلق بن حبيب رحمه الله : «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»[٢] .

ويدخل في التقوى الكاملة : فعل الواجبات، وترك المحرمات، والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعلُ المندوبات، وترك المكروهات، وهو أعلى درجات التقوى[٣] ، وقد عرف التقوى الكاملة الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في تفسيره لقول الله عز وجل : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[٤] ، فقال: «أن يطاع فلا يعصى،

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٣٩٨، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير، ٢/ ١٨١ .
(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤٠٠ .
(٣) المرجع السابق، ١/ ٣٩٩ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر»[١] ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات، ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته، وسكناته، وكلماته: فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها»[٢] ، وذكر الإمام القرطبي رحمه الله: «أن قول الله عز وجل: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ بينه قوله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[٣] وأن المعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم وبين أن هذا أصوب من القول بالنسخ، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى»[٤] .

---

(١) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، ٩/ ٩٢، برقم ٨٥٠٢، والحاكم في المستدرك، ٢/ ٢٩٤، وابن جرير في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧/ ٦٥، وذكر طرقاً كثيرة من رقم ٧٥٣٦ إلى رقم ٧٥٥١ .

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠١ .

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦ .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ١٦٦ .

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى؟ فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوكٍ؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيتُ الشوكَ عدلتُ عنه، أو جاوزتُه، أو قصرتُ عنه، قال: ذاك التقوى. وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خلَّ الذنوب صغيَرها
وكبيرَها فهو التقى

واصنع كماشٍ فوق
أرض الشوك يحذر ما يَرَى

لا تحقرنَّ صغيرة
إن الجبالَ من الحصى[1]

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤٠٢.

○ المطلب الثاني: أهمية التقوى:

التقوى من أهم أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ لأمور، منها:

أولاً: أن الله عز وجل أوصى الأولين والآخرين بالتقوى فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[1]، فهذه وصية عظيمة للأولين والآخرين بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن ضيعها وأهملها بأليم العقاب، ولهذا قال: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾.

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ ﴾ بأن تتركوا تقوى الله وتشركوا بالله ما لم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

ينزل به سلطاناً فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم ولا تضرون الله شيئاً، ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له، خاضعون لأمره؛ ولهذا رتب على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ له الجود الكامل، والإحسان الشامل، الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق ولا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار»[١] ، ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، والحميد من أسماء الله تعالى الحسنى الدال على أنه المستحق لكل حمد ومحبة، وثناء وإعظام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال؛ ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال، فهو المحمود على كل حال، وما أحسن اقتران هذين الاسمين

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١٧١ .

الكريمين «الغني الحميد» فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر[١] .

ثانياً: أمر الله عز وجل بالتقوى وأوجب العمل بها على عباده في آيات كثيرة، منها :

١- قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٢] .

٢- وقال عز وجل: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٣] .

٣- وقال عز وجل: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٧١ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٨، وانظر: الآية: ١٢٣ .

﴿اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

٤- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢] .

٥- وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣] ، والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة جداً[٤] .

ثالثاً: أمر النبي ﷺ بالتقوى وحث عليها في أحاديث كثيرة، منها:

١- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٨.
(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٥٩-٧٦٠، فقد ذكر الأمر بالتقوى في تسعةٍ وسبعين موضعاً في القرآن الكريم.

رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالِكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربِّكم»[١] .

٢- أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالتقوى، ووصيته لرجل واحد وصية للأمة فقال: «اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[٢] ، وقوله ﷺ: «اتقِ الله حثيما كنت» قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «مراده في السر والعلانية، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه»[٣] ، وكان النبي ﷺ

---

(١) الترمذي، كتاب الصلاة، بابٌ منه: ١/ ٢، برقم ٦١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/ ١٩٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٦٧.

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ٤/ ٣٥٥، برقم ١٩٨٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد في المسند، ٥/ ١٥٣، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٤.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠٧.

يسأل الله عز وجل خشيته في السر والعلانية فيقول في دعائه: «... **أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»[١]، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وخشية الله في الغيب والشهادة: هي من المنجيات»[٢]، وقال: «وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفُلُ ساعةً
ولا أن ما يخفى عليه يغيب[٣]

وقال ابنُ السَّمَّاك رحمه الله[٤] ينشد:

---

(١) النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر: نوع آخر، ٣/ ٥٤، برقم ١٣٠٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٢٨٠، وهو حديث طويل.
(٢) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠٧.
(٣) المرجع السابق، ١/ ٤٠٩.
(٤) هو الزاهد القدوة سيد الوعاظ، أبو العباس محمد بن صبيح العجلي ابن السماك، المتوفى سنة ١٩٣هـ، انظر: سير أعلام=

يـا مـدمـن الـذنـب أمـا تستحـي
والله ُ في الخلـــوةِ ثـــانيكَـــا
غـــرَّك مـــن ربـــك إمهـــالُـــهُ
وسَتْـــرُهُ طُـــولَ مســـاويكَـــا[١]

وقال أبو محمد عبدالله بن محمد الأندلسي القحطاني رحمه الله في نونيته:

وإذا مـا خلـوت بـريبـة في ظُلَّمَـةٍ
والنفـــسُ داعيـــةٌ إلى الطُّغيـــانِ
فاستحي من نَظَرِ الإله وقُل لها
إن الـذي خلـق الظـلام يــراني[٢]

وقال آخر:

يـا مـن يـرى مـدَّ البعُـوض جنـاحـه
فــي ظلمــة الليــل البهيــم الأليــلِ

= النبلاء، للذهبي، ٨/ ٣٢٨-٣٣٠.
(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤١٠.
(٢) نونية القحطاني، ص ٢٥.

ويـرى نيـاط عـروقهـا في نحـرهـا
والمخ يجري في تلـك العظـام النُّحَـلِ
امنـن علـيَّ بتـوبـةٍ تمحـو بهـا
مـا كـان منـي في الـزمـانِ الأولِ

٣- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودِّعٍ فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمعَ والطاعة. . .»[1] . قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة»[2] .

٤- وعن بريدة رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميراً على جيشٍ أو سرية

(١) أخرجه أبو داود، ٤/ ٢٠١، برقم ٤٦٠٧، والترمذي ٥/ ٤٤، برقم ٢٦٧٦، وأحمد في المسند ٤/ ٤٦، وابن ماجه ١/ ١٥، برقم ٤٣، ٤٤ .
(٢) جامع العلوم والحكم، ٢/ ١١٦ .

أوصاه في خاصّتِهِ بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. . . »[١] .

٥- ولأهمية التقوى دعا النبي ﷺ ربه فسأله التقى، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[٢] .

رابعاً: أكثر ما يدخل الجنة التقوى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «**الفم والفرج**»[٣] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ٣/ ١٣٥٦، برقم ١٧٣١ .

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما علم ومن شر ما لم يعلم، ٤/ ٢٠٨٧، برقم ٢٧٢١ .

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ٤/ ٣٦٣، برقم ٢٠٠٤، وقال: «هذا حديث صحيح غريب»،=

خامساً: التقوى أهم من اللباس الحسى الذي لا غنى للإنسان عنه؛ لأن لباس التقوى لا يبلى ولا يبيد، ويستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح، وأما اللباس الظاهر فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأقات، أو يكون جمالاً للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع، وبتقدير عدم هذا اللباس تنكشف عورته الظاهرة التي لا يضره كشفها مع الضرورة، أما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنه تنكشف عورته الباطنة وينال الخزي والفضيحة[1]، قال الله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[2]، وهذا اللباس هو الذي لا يستغني عنه الإنسان طرفة

= وحسن الألباني إسناده، في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ١٩٤.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

عين، وبدونه لا قيمة له ولا كرامة ولا فلاح، ولقد أحسن القائل حين قال:

إذا المـرء لم يلبـس ثيابـاً مـن التقـى
تقلـب عـريـانـا ولـو كـان كـاسيـا
وخير لبـاس المـرء طـاعـة ربـه
ولا خير فيمـن كـان لله عـاصيـاً

سادساً: التقوى أهم من الطعام والشراب، قال الله عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إن من كرم الرجل طيب زاده في السفر»[2]، وأمر الله عز وجل بالتزود في السفر؛ لأن في التزود الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم؛ ولأن التزود فيه نفع وإعانة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٢٢٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤.

للمسافرين، وهذا الزاد المراد منه: إقامة البنية: بلغةً ومتاعاً. ولما أمر الله بالزاد للسفر في الدنيا أمر بالزاد الحقيقي: زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، وهو الزاد المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى، الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل إلى أكمل لذة، وأجلِّ نعيم، ومن ترك هذا الزاد فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين[1]، وقد أحسن القائل:

تـزود مـن التقـى فـإنـك لا تـدري
إذا جـنَّ ليـل هـل تعيـش إلى الفجـرِ
فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٤.

○ المطلب الثالث: صفات المتقين:

المتقون لهم صفات وأعمال نالوا بها السعادة في الدنيا والآخرة ومن هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أولاً: قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[1]، ففي هذه الآيات مجموعة مباركة من صفات المتقين هي:

١- الإيمان بالغيب.
٢- إقام الصلاة.
٣- الإنفاق الواجب والمستحب في جميع طرق الخير.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٤.

٤- الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة السابقة .
٥- الإيقان والإيمان الكامل بالآخرة، واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك .

ومن عمل بهذه الصفات كان على الهدى العظيم، وكان من المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة[1] .

ثانياً: قال الله عز وجل: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤ .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١] ففي هذه الآية العظيمة بين الله عز وجل كثيراً من أعمال المتقين وصفاتهم الكريمة العظيمة، وهي:

١- الإيمان بالله عز وجل.
٢- الإيمان باليوم الآخر.
٣- الإيمان بالملائكة.
٤- الإيمان بالكتب التي أنزل الله عز وجل.
٥- الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
٦- إعطاء المال، للأقرباء، واليتامى، والمساكين، والمسافرين، والسائلين، وإعتاق الرقاب.
٧- إقام الصلاة.
٨- إيتاء الزكاة.
٩- الوفاء بالعهد.
١٠- الصبر في الفقر، والمرض، ووقت قتال الأعداء.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

١١- الصدق في الأقوال والأفعال والأحوال.

فهؤلاء الذين عملوا هذه الأعمال صدقوا في إيمانهم؛ لأن أعمالهم صدَّقت إيمانهم، وهم المفلحون؛ لأنهم تركوا المحظورات وفعلوا المأمورات؛ ولأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير: تضمناً ولزوماً؛ لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله، ومن قام بهذه الأعمال كان لما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون، المتقون[1].

ثالثاً: قال الله عز وجل بعد أن بين أن الشهوات زينت للناس: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٦.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1] ، وقد ظهرت أعمال مباركة وصفات كريمة من صفات المتقين في هذه الآيات الثلاث، هي :

١- التوسل إلى الله عز وجل بالإيمان به .
٢- طلب المغفرة من الله عز وجل .
٣- طلبهم من الله عز وجل الوقاية من عذاب النار .
٤- الصبر على طاعة الله وعن محارم الله، وعلى أقدار الله المؤلمة .
٥- الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .
٦- القنوت الذي هو دوام الطاعة مع الخشوع .
٧- الإنفاق في سبيل الخيرات على الفقراء وأهل الحاجات .
٨- الاستغفار خصوصاً وقت الأسحار، لأنهم

(١) سورة آل عمران، الآيات : ١٥-١٧ .

مــدوا الصــلاة إلى وقــت السحــر فجلســوا يستغفرون الله تعالى[١] .

فهؤلاء لهم أصناف الخيرات والنعيم المقيم، ولهم رضوان الله، الذي هو أكبر من كل شيء، ولهم الأزواج المطهرة من كل آفة ونقص: جميلات الأخلاق، كاملات الخلائق[٢] .

رابعاً: قال الله عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص١٠٣ .
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ٦/ ٢٥٩-٢٦٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص١٠٣ .

لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1] ، في هذه الآيات أعمال عظيمة وصفات كريمة لأهل التقوى ذكرها الله بعد أن أمرهم بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي أعدها للمتقين، وهذه الصفات على النحو الآتي:

١- الإنفاق: في العسر واليسر، والشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض.

٢- كظم الغيظ وعدم إظهاره، والصبر على مقابلة المسيء إليهم، فلا ينتقمون منه.

٣- العفو عن كل من أساء إليهم بقول أو فعل.

٤- ذكر الله وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين فيسألوه المغفرة لذنوبهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٦.

٥- المبادرة للتوبة والاستغفار عند عمل السيئات الكبيرة والصغيرة.

٦- عدم الإصرار على الذنوب والاستمرار عليها، بل تابوا عن قريب.

ثم بين الله عز وجل جزاءَهم على عمل هذه الصفات: مغفرة من ربهم وجنات فيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1].

خامساً: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[2].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٣٨٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٩.

في هذه الأيات أعمال عظيمة من أعمال المتقين، وصفات كريمة، هي:

١- الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى عباد الله.

٢- صلاة الليل الدالة على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان، فكان نومهم بالليل قليلاً.

٣- الاستغفار بالأسحار قبيل الفجر، فقد مدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله.

٤- الإنفاق على المحتاجين الذين يطلبون من الناس، والذين لا يسألونهم.

وهذه صفات المتقين الذين أدخلهم الله الجنات المشتملات على جميع أصناف الأشجار والفواكه، وعلى العيون السارحة تشرب منها تلك البساتين، ويشرب منها عباد الله المتقون[١].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٥١.

وهذه نماذج وأمثلة من صفات المتقين، وهي كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

○ **المطلب الرابع: ثمرات التقوى:**

التقوى لها ثمرات يجنيها المتقي في الدنيا والآخرة، وعلى حسب العمل بصفات المتقين يكون السبق في الحصول على هذه الثمرات، ومن هذه الثمار على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

أولاً: الانتفاع بالقرآن الكريم، والفوز بهداية الإرشاد، وهداية التوفيق، قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1].

ثانياً: معية الله مع المتقين، قال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2]، وقال

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١-٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(١) ، وهـذه معيـة التـوفيـق والتسديد، والنصرة، والتأييد، والإعانة، والحماية، كما قال الله عز وجل حكاية عن محمد ﷺ وقوله لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾(٢) ، وأما المعية العامة فهي معيـة شـاملـة لكـل شيء، بسمعـه، وبصره، وعلمه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(٣) .

ثالثاً: المكانة العالية عند الله يوم القيامة، قال الله عز وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾(٤) .

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨ .
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠ .
(٣) سورة الحديد، الآية: ٤ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٢ .

رابعاً: التوفيق لنيل العلم النافع وتحصيله، قال الله عز وجل: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

خامساً: التقوى تثمر دخول الجنة وما فيها من أنواع النعيم، ومن ذلك، ما يلي:

١- الفوز بالجنة، قال الله عز وجل: ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[2] .

٢- ميراث الجنة، قال عز وجل: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[3] ، وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] ، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥ .
(٣) سورة مريم، الآية: ٦٣ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣ .

﴿قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾(١) .

٣- المتقون لهم نعم الدرجات ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

٤- نيل ما تشتهيه الأنفس ، قال الله عز وجل : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٤) .

٥- المتقـون يحشرون وفـداً ، قـال الله عـز وجل : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾(٥) ، ذكر الإمام الطبري رحمه الله بسنده عن عليٍّ رضي

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٧ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٣٠ .
(٣) سورة النحل ، الآية : ٣١ .
(٤) سورة الزخرف ، الآية : ٧١ .
(٥) سورة مريم ، الآية : ٨٥ .

الله عنه: أنهم يحشرون على نوق من الإبل عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد، يركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة[١].

٦- المتقون تقرب لهم الجنة، قال الله عز وجل: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[٣].

٧- المتقون لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف، يُرى ظاهِرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، قال الله عز وجل: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٤]، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨/ ٢٥٤-٢٥٥.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة ق، الآية: ٣١.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٠.

أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[١] .

٨- المتقون لا يمسهم العذاب بل ينجيهم الله بنجاتهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] .

٩- المتقـون يسلمـون مـن عـذاب جهنـم ويمرون على الصراط، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٣] .

١٠- صحبة المتقين ومحبتهم دائمة في الدنيا والآخرة، وكل صحبة غيرها فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٨ .
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦١ .
(٣) سورة مريم، الآيتان: ٧١-٧٢ .

يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) .

١١- المتقــون لهــم المقــام الأمين، قــال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢) .

١٢- التقوى تثمر ورود أنهار الجنة والشرب منها، قال الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧ .

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٧ .

ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[١] .

١٣- المتقـون في مقعـد صـدق عنـد الله عـز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٢] .

١٤- المتقون أثمرت لهم تقواهم السير تحت ظلال أشجار الجنة، والتنعم بما يشتهون، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣] ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها**»[٤] .

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٥ .

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥ .

(٣) سورة المرسلات، الآيات، ٤١-٤٣ .

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار،=

١٥- المتقون لهم حسن المرجع في الجنة، قال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ * مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ * إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[1] .

سادساً: محبة الله للمتقين، قال الله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] ، وقال النبي ﷺ: «إن الله يحبُ العبدَ التَّقِيَّ، الغنيَّ، الخفيَّ»[4] ، وذكر

= ٧/ ٢٥٦، برقم ٦٥٥٣، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ٤/ ٢١٧٥، برقم ٢٨٢٦.

(١) سورة ص، الآيات: ٤٩-٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤، والآية: ٧.

(٤) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب، ٤/ ٢٢٧٧، برقم ٢٩٦٥ =

الإمام القرطبي، والإمام النووي رحمهما الله: أن المراد بالغني غني النفس، هذا هو المعنى المحبوب؛ لقوله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[١]، وقيل: يعني به: من استغنى بالله ورضي بما قسم الله له، والخفي: يعني به الخامل الذي لا يريد العلوَّ في الدنيا، ولا الظهور في مناصبها، وجاء في بعض الروايات: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الحفي»، ومعني: الحفي: أي العالم من قوله: ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾[٢]، وقيل: الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء،

= من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، ٧/ ٢٢٨، برقم ٦٤٤٦، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، ٢/ ٧٢٦، برقم ١٠٥١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

والساعي في حوائجهم[١]، وقال النووي: «والصحيح بالمعجمة» أي: «الخفي»[٢].

سابعاً: عدم الخوف من ضرر وكيد الأعداء، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٣].

ثامناً: التقوى سبب لنزول المدد من السماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٤].

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٧/ ١٢٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣١٤.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣١٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣-١٢٥.

تاسعاً: التقوى تثمر عدم العدوان وعدم إيذاء عباد الله، قال الله عز وجل: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[١]، وقال سبحانه وتعالى في قصة مريم: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[٢].

عاشراً: قبول الأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٣].

الحادي عشر: حصول الفلاح؛ لأن من اتقى الله أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران، وفاتته الأرباح، قال الله عز وجل: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٢) سورة مريم، الآيتان: ١٧-١٨.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٠.

الثاني عشر: التقوى تمنع صاحبها الزيغ والضلال بعد الهداية، قال الله عز وجل: : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١] ، وصراط الله الموصل إليه وإلى جنته ما بينه الله عز وجل في كتابه من الأحكام والشرائع، والأخلاق الكريمة، فمن اتبع صراط الله عز وجل بالقيام بالمأمورات والابتعاد عن المنهيات ـ اعتقاداً، وعلماً، وعملاً، وقولاً ـ نال الفوز والفلاح، وكان من عباد الله المتقين، وسلم من الزيغ والضلال[٢] .

الثالث عشر: السلامة من الخوف والحزن، فمن اتقى ما حرم الله عليه: من الشرك، والكبائر، والصغائر، وأصلح أعماله الظاهرة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣ .

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤٣ .

والباطنة، فلا خوف عليه من الشر، ولا يحزن على ما مضى، فإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة والفلاح الأبدي[١]، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٢].

الرابع عشر: التقوى تثمر فتح البركات من السماء والأرض، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٣]، وقال عز وجل في أهل الكتاب: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

الخامس عشر: الحصول على رحمة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢).

السادس عشر: التقوى تثمر الفوز بولاية الله، قال الله عز وجل: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٤).

السابع عشر: التقوى تثمر توفيق صاحبها للتفريق بين الحق والباطل، قال الله عز وجل:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الجاثية، الآية: ١٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1] .

فقد بين الله عز وجل أن من اتقاه حصل له أربعة أمور عظيمة كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها :

الأول: الفرقان ، وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال ، والحق والباطل ، والحلال والحرام ، **والثاني والثالث:** تكفير السيئات ، ومغفرة الذنوب ، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الاطلاق وعند الاجتماع : يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر ، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر . **الرابع:** الأجر العظيم والثواب الجزيل[2] . وقال

(١) سورة الأنفال، الآية : ٢٩ .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٨١ .

الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

الثامن عشر: التقوى تثمر حماية الإنسان من ضرر الشيطان، فيذكر صاحبها ما أوجب الله عليه، ويبصر ويستغفر، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٣).

التاسع عشر: البشرى في الحياة الدنيا وفي

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، أما البشرى في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة[2]، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال، والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[3].

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، ٤/ ١٧٧٤، برقم ٢٢٦٣، ٢٢٦٤.

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة، باب إذا أُثنيَ على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ٤/ ٢٠٣٤، برقم ٢٦٤٢.

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضا الله تعالى عنه، ومحبته له فيحببه إلى الخلق... هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم»[1]، وأما البشارة في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]، والبشـارة في القبر برضى الله والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم[3].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٤٢٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٢٤، والطبعة القديمة ٣/ ٣٦٧.

العشرون: حفظ الأجر؛ فإنه من يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الطاعات، وعن المحرمات، وعلى أقدار الله المؤلمة لا يضيع الله أجره، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] .

الحادي والعشرون: العاقبة الحميدة الحسنة في الدنيا والآخرة للمتقين، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2] ، وقال عز وجل: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٠ .
(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢ .
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨ .

لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] ، وكان النبي ﷺ يدعو بحسن العاقبة فيقول: «**اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة**»[٣] .

الثاني والعشرون: الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة للمتقين، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[٤] .

الثالث والعشرون: التقوى تفرق بين المؤمنين

(١) سورة هود، الآية: ٤٩ .
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣ .
(٣) أحمد في المسند، ٤/ ١٨١ ، والطبراني في الكبير، ٢/ ٣٣، برقم ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٧٨: رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات .
(٤) سورة النور، الآية: ٥٢ .

والفجار، قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[3] ، فالله عز وجل لا يجعل المتقين القائمين بما أمر به المبتعدين عما نهى عنه، كالمفسدين في الأرض والمكثرين من الذنوب المقصرين في حقوق ربهم؛ فإن حكمته تعالى لا تقتضي أن يجعل المتقين القانتين لربهم المنقادين لأوامره، المتبعين مراضيه كالمجرمين

(١) سورة ص، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١.
(٣) سورة القلم، الآيات: ٣٤-٣٦.

الذين وقعوا في معاصيه والكفر بآياته، ومن ظن أنه تعالى يسوِّي بين هؤلاء في الدنيا والآخرة فقد أساء الحكم وحكمه باطل ورأيه فاسد؛ فإن الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين المتقين لهم النصر، والفلاح، والسعادة في العاجل والآجل كل على قدر عمله، وأن المجرمين المسيئين لهم الغضب والإهانة، والعذاب، والشقاء في الدنيا والآخرة[١] .

الرابع والعشرون: التقوى سبب لتعظيم شعائر الله؛ لأن شعائر الله أعلام الدين الظاهرة، وتعظيمها إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، وهذا التعظيم صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه، وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله،

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٢٢، ٨١٥.

وإجلاله[١]، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[٢].

الخامس والعشرون: التقوى تصلح بها الأعمال وتقبل، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣]، فأمر سبحانه بالتقوى في السر والعلانية، وخص منها القول السديد، وهذا القول الموافق للصواب أو المقارب له عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتعلم العلم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، ولين الكلام، ولطفه، ويترتب على ذلك صلاح العمل فلا يفسد، ومغفرة الذنوب، فبالتقوى تستقيم

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٤٨٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

الأمور، ويندفع بها كل محذور[١] .

السادس والعشرون: التقوى سبب للإكرام عند الله، قال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢] ، فأكرم الناس عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة، وإنكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله عز وجل عليم خبير يعلم من يقوم بتقوى الله ظاهراً وباطناً، مِمَّن لا يقوم بذلك ظاهراً، ولا باطناً فيجازي كلاً بما يستحق[٣] .

السابع والعشرون: التقوى يحصل بها الفرج والمخرج من كل شدة ومشقة وكرب، ويسوق الله بها الرزق للمتقي من حيث لا يحتسبه

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٢٠ .
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣ .
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٤٥ .

ولا يشعر بـه ولا يخطـر له على بال، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾(١) .

الثامن والعشرون: التقوى يحصل بها تيسير الأمور، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾(٢) ، فمن اتقى الله عز وجل يسر له كل أموره، وسهل عليه كل عسير.

التـاسـع والعشرون: التقـوى تكفـر بهـا السيئات وتعظم بها الأجور لمن اتقى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾(٣) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.

أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] .

الثلاثون: التقوى تثمر الاهتداء والاتعاظ للمتقين، لأنهم هم المنتفعون بالآيات، فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي، قال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2] ، وقوله عز وجل ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي هذا القرآن جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خاصة، قاله الحسن وقتادة[3] ، وجزم بها الحافظ ابن كثير رحمه الله[4] ، وقيل: ﴿ هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما تقدم هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٥ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨ .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٧/ ٢٣٢ .
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٨٦ .

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[١] ، قال العلامة السعدي رحمه الله : «وكلا المعنين حق»[٢] .

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وجميع المؤمنين من هؤلاء المتقين الذين يفوزون بهذه الثمرات العظيمة؛ فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

***

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧ ، واختار هذا القول ابن جرير ، انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧/ ٢٣٢ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١١٧ .

المبحث الثاني: ظلمات المعاصي وأضرارها

○ المطلب الأول: مفهوم المعاصي وأسماؤها:

أولاً: مفهوم المعاصي:

المعاصي لغة: العصيان خلاف الطاعة، يقال: عصى العبد ربه: إذا خالف أمره، وعصى فلانٌ أميره يعصيه عَصْياً وعِصْياناً، ومعصيةً إذا لم يطعه، فهو عاص[١]، قال الله عز وجل: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[٢]، وقال الجرجاني رحمه الله: «العصيان: هو ترك الانقياد»[٣].

والمعاصي في الاصطلاح الشرعي: هي ترك

(١) لسان العرب، لابن منظور، باب الياء، فصل العين، مادة «عصا»، ١٥/ ٦٧.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٣) التعريفات، ص ١٩٥.

المأمورات، وفعل المحظورات، فتبين بذلك أن المعاصي هي ترك ما أمر الله به أو أمر به رسوله ﷺ، وفعل ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله ﷺ: من الأقوال، والأعمال، والمقاصد الظاهرة والباطنة[١]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[٤].

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٢١، والمعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٣.

ثانياً: أسماء المعاصي:

قد جاء معنى المعصية بألفاظ كثيرة ومن ذلك ما يأتي:

١- الفسوق والعصيان، قال الله عز وجل: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[(١)].

٢- الحُوب، قال الله عز وجل: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[(٢)].

٣- الذنب، قال الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر قوم لوط، ومدين، وعاد، وثمود، وقارون، وفرعون، وهامان: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢.

وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١) .

٤- الخطيئة، قال الله عز وجل في ذكره لقول إخوة يوسف ﷺ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾(٢) .

٥- السيئة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾(٣) .

٦- الإثم، قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

٧- الفساد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٧ .

(٣) سورة هود، الآية: ١١٤ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٣ .

جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

٨- العتو، قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[٢].

○ **المطلب الثاني: أسباب المعاصي:**

المعاصي لها أسباب كثيرة تحصل بسببها، وتكثر وتقل بذلك وهذه الأسباب نوعان:

النوع الأول: الابتلاء والاختبار، ومن ذلك:

١- الابتلاء بالخير والشر، قال الله عز وجل: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٦.

تُرۡجَعُونَ ﴾[١] ، فالله سبحانه يبتلي عباده بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، فبالخير يختبر هل يؤدى شكره، وبالشر يختبر هل يصبر على ضره[٢] .

٢- الابتلاء بالمال والولد، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[٣] ، فالأموال والأولاد فتنة: أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه[٤] ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٨/ ٤٤٠.
(٣) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٣٧٦.

وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فأيكم استعاذ فليستعذ بالله تعالى من مضلات الفتن»[١] .

٣- وقد تكون الفتنة أعم مما تقدم، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[٢] ، وهذه الفتن وغيرها مما في معناها تكون من أسباب النجاة عند النجاح في الاختبار، وتكون من أسباب المعاصي والهلاك عند الإخفاق والرسوب في الامتحان، والله نسأل التوفيق والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

النوع الثاني: أسباب الوقوع في المعاصي، ومنها :

١- ضعف الإيمان واليقين بالله عز وجل والجهل به سبحانه؛ فإن عدم المراقبة لله عز وجل وعدم الخوف منه، وعدم محبته وإجلاله وتعظيمه

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١٦٠.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

وخشيته تجعل الإنسان يستخف بوعد الله عز وجل ووعيده، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال الله عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2] .

٢- الشبهات، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما»[3] .

ففتنة الشبهات تنشأ من ضعف البصيرة وقلة العلم، وفساد القصد، وحصول الهوى، وتنشأ أيضاً من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غَرَضٍ فاسدٍ وهوىً متبع، فهي من

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٩ .

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٨-٢١٩ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ٢/ ١٦٥ .

عمى في البصيرة وفسادٍ في الإرادة[١] .

٣- الشهوات، وقد جمع الله بين الشبهات والشهوات في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ ﴾[٢] ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق: هو النصيب المقدر، ثم قال: وخضتم كالذي خاضوا» فهذا الخوضُ بالباطل وهو الشبهات، فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان: من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد باطل والتكلم به،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢/ ١٦٦ .

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٩ .

أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح، فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني فسق الأعمال، فالأول فساد من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات»[١] ، وفتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر؛ ولهذا جعل الله عز وجل إمامة الدين بالصبر واليقين فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٢] ، فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة[٣] ، ولاشك أن الشهوات منها ما يكون مباحاً حلالاً ومنها ما يكون حراماً، فحلالها ما أحله الله ورسوله وحرامها ما حرمه الله ورسوله ﷺ .

---

(١) إغاثة اللهفان، ٢/ ١٦٦ .

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤ .

(٣) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١٦٧ .

٤- الشيطان من أعظم أسباب وقوع المعاصي: لأنه أخبث عدو للإنسان، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(١)، والشياطين نوعان: شياطين الإنس وشياطين الجن، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٢)، والمخرج من شياطين الإنس، بالإحسان إليهم، والدفع بالتي هي أحسن، ومقابلة السيئة بالحسنة.

أما شياطين الجن، فالمخرج منها الاستعاذة بالله منهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣).

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

والشيطان يريد أن يظفر بالإنسان في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها:

العقبة الأولى: عقبة الكفر والشرك بالله وبدينه، ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن نجا العبد من هذه العقبة طلبه على:

العقبة الثانية: عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله ﷺ، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأمور المحدثة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئاً، فإن وفق الله العبد لقطع هذه العقبة طلبه الشيطان على:

العقبة الثالثة: عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها

زينها له وحسَّنها في عينه، فإن قطع العبد هذه العقبة بتوفيق الله طلبه على:

العقبة الرابعة: عقبة الصغائر، فكال له منها بالمكاييل العظيمة ولا يزال يهوِّن عليه أمرها حتى يُصِر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه، فالإصرار على الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، فإن نجا العبد من هذه العقبة طلبه الشيطان على:

العقبة الخامسة: عقبة المباحات التي لا حرج فيها فيشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزوّد لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه تفويت الأرباح والمكاسب العظيمة، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة، ونور هادٍ ومعرفة بقدر الطاعات، طلبه على:

العقبة السادسة: عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات فأمره بها وحسنها في عينه، وزينها له؛ ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، فإن نجا من هذه العقبة بفقه الأعمال ومراتبها عند الله ومنازلها في الفضل، لم يبق هناك عقبة يطلبه عليها سوى واحدة لابد منها، وهي:

العقبة السابعة: تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد، واللسان، والقلب على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها؛ فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله جد العدو في

إغراء السفهاء به، والله المستعان، وعليه التكلان[١].

○ **المطلب الثالث: مداخل المعاصي:**

أولاً: النفس الأمارة يدخل عليها الشيطان وأعوانه وجنوده من مرادها، ومحبوباتها، وشهواتها، فإذا صارت النفس الأمارة مع الشيطان وجنوده ملكوا ستة ثغور يدخلون منها على القلب؛ لإفساده:

١- ثغر العين، فيجعلون نظرها تفرجاً وتلهِّياً لا اعتباراً.

٢- ثغر الإذن، فيدخلون معها الباطل، ويمنعون دخول الحق.

٣- ثغر اللسان، فيجرون عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه، ويمنعونه مما ينفعه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٢٢٢-٢٢٦.

٤- ثغر الفم، فيدخلون معه إلى البطن أنواع المحرمات.

٥- ثغر اليد، فيجعلوها تبطش بالباطل، وتتوقف عن الحق.

٦- ثغر الرجل، فيجعلوها تمشي إلى الباطل[١].

قال الإمام ابن القيم يحكي عن الشيطان كلامه مع جنوده وحثهم على الاستيلاء على هذه الثغور: «فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة، فمتى دخلتم منها إلى القلب فهو قتيل أسير، أو جريح مثخن بالجراحات»[٢].

ثانياً: أبواب الشيطان التي يُدخِل الناسَ معها إلى النار ثلاثة:

١- باب شبهة أورثت شكاً في دين الله.

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٨٠-١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨١.

٢- باب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته.

٣- باب غضب أورث العدوان على خلق الله عز وجل[١].

ثالثاً: طرق الشيطان على الإنسان من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: التزيد والإسراف، فيزيد على قدر الحاجة، فتصير فضلة، وهي حظ الشيطان ومدخله إلى القلب، وطريق الاحتراز منه عدم إعطاء النفس تمام مطلوبها: من غذاء، أو نوم، أو لذة، أو راحة، فمتى أُغلِق هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه.

الجهة الثانية: الغفلة؛ فإن الذاكر في حصن الذكر، فمتى غفل فُتِحَ باب الحصن فولجه

---

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ١٠٥.

العدو، فيعسر عليه أو يصعب إخراجه.

الجهة الثالثة: تكلف ما لا يعنيه من جميع الأشياء[١].

رابعاً: المداخل التي من حفظها نجا من المهالك، ولهذا قيل: «من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات»[٢].

وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة:

١- النظرة: فاللحظات رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، ومن أطلق بصره في ما حرم الله أورد نفسه موارد الهلاك، قال الله عز وجل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ

---

(١) الفوائد، لابن القيم، ص ٣٣٤.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٦٦.

إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[١] ، ولاشك أن النظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، قال الشاعر:

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها
كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد مادام ذا طرف يقلبه
في أعين الغير موقوف على الخطر
يسر مُقلتَهُ ما ضرَّ مُهجتَهُ
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر[٢]

٢- الخطرة: والخطرات شأنها أصعب؛ لأنها مبدأ الخير والشر، ومنها تولد الإرادات، والهم

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١.
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٦٨ . ض

والعزائم ، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه ، وقهر هواه، ومن استهان بالخطرات قادته إلى الهلكات .

والخطرات المحمودة أقسام تدور على أربعة أصول :

* خطرات يستجلب بها العبد منافع دنياه .
* وخطرات يستدفع بها مضار دنياه .
* وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته .
* وخطرات يستدفع بها مضار آخرته .

فليحصر العبد خطراته، وأفكاره، وهمومه في هذه الأقسام الأربعة[1] .

٣- اللفظة : واللفظات حفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة، فلا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، وإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر : هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها

(١) انظر : المرجع السابق، ص ٢٦٩-٢٧٦ .

ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل تفوتُ بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه، وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى؛ ولهذا قال يحيى بن معاذ رحمه الله: «**القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها ومغارفها ألسنتها، فانتظر حتى يتكلم الرجل فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض، وعذب وأجاج يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه**»[١]، والمعنى أنك كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام فتدرك العلم بحقيقة ذلك، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في القِدْر بلسانك[٢]، فيجب على المرء

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ١٠/ ٦٣، وانظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٧٦.

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٧٦.

المسلم أن يحفظ لسانه؛ فإن أكثر ما يدخل الناس النار: الفم والفرج، واللسان يكب الناس على مناخرهم في النار، وربما تكلم الرجل بكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب، أو يهو بها في النار سبعين خريفاً، أو يتكلم بكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه.

والمؤمن بالله واليوم الآخر يتكلم بالخير أو يسكت، وإذا حسن إسلامه فإنه لا يتكلم إلا فيما يعنيه، واللسان أخوف ما خاف رسول الله ﷺ على المسلم، وكل كلام ابن آدم عليه لا له: إلا أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن منكرٍ، أو ذكراً لله عز وجل، والكلام أسيرك فإذا خرج من فيك صرت أنت أسيره، والله لا يخفى عليه قول القائل، قال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١] ، واللسان فيه آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى : آفة الكلام، وآفة السكوت، فالمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله، والساكت عن الحق شيطان أخرس عاصٍ لله مراءٍ مداهنٍ إذا لم يخف على نفسه، وأهل الوسط من أهل الحق كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله عز وجل وما اتصل به[٢] .

٤- الخطوة: والخطوات حفظها بأن لا ينقل العبد قدمه إلا فيما يرجو ثوابه، فإن لم يكن في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له، ويمكنه

---

(١) سورة ق، الآية : ١٨ .

(٢) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص٢٧٦-٢٨١ .

أن يستخرج من كل مباح بخطوة إليه قُربةً ينويها لله، فتقع خطاه كلها قربة بالنية الصالحة[١] ، وقد وصف الله عز وجل عباد الرحمن بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[٢] ، كما جمع الله عز وجل بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٣] .

○ **المطلب الرابع: أصول المعاصي:**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أصول الخطايا كلها ثلاثة:

١- الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره.

٢- الحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٣) سورة غافر، الآية: ١٩.

٣- الحسد: وهو الذي جرَّأَ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقِيَ شر هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد»[١].

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

١- تعلق القلب بغير الله، وهو الشرك، فغاية التعلق بغير الله شرك، وأن يُدعى معه إلـٰه آخر.

٢- طاعة القوة الغضبية، وهي الظلم، وغاية ذلك القتل.

٣- طاعة القوة الشهوانية، وهي الفواحش، وغاية ذلك الزنا.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الثلاثة في قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ

(١) الفوائد، ص ١٠٥.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[١] .

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض: فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] ، فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا، وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة؛ فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد، فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك، والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم. فهذه الثلاثة يجر بعضها إلى بعض، ويأمر بعضها ببعض[٣] .

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨-٦٩ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٤ .

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٥٤ .

وبين رحمه الله تعالى: أن أركان الكفر أربعة:

١ - الكبر ٢ - الحسد

٣ - الغضب ٤ - الشهوة

فالكبر يمنع العبد الإنقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة، فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الإنقياد، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله، وإذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة، وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمن ابتلي بها، ولاسيما إذا صارت هيئات راسخة، وملكات وصفات ثابتة؛ فإنه لا يستقيم له معها عمل ألبتة، ولا تزكو نفسه، وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه

هذه الأربعة، وإذا استحكمت هذه الأربعة في القلب أرته الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، والمعروف في صورة المنكر، والمنكر في صورة المعروف، وقربت منه الدنيا وبعدت منه الآخرة[١].

○ **المطلب الخامس: أقسام المعاصي:**

الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام هي على النحو الآتي:

القسم الأول: الذنوب الملكية، وهي أن يتعاطى الإنسان ما لا يصلح له من صفات الربوبية: كالعظمة، والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلو، واستعباد الخلق، ونحو ذلك.

القسم الثاني: الذنوب الشيطانية، وهي الذنوب التي يتشبه الإنسان بالشيطان في عملها،

---

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٢٨١.

فالتشبه بالشيطان: في الحسد، والبغي، والغش، والغل، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله، وتحسينها، والنهي عن طاعة الله، وتهجينها، والابتداع في الدين، والدعوة إلى البدع والضلال، وهذا القسم يلي القسم الأول في المفسدة، وإن كانت مفسدته دونه.

القسم الثالث: الذنوب السبعية، وهي التي يشبه الإنسان في فعلها السباع، وهي ذنوب العدوان، والغضب، وسفك الدماء، والتوثب على الضعفاء والعاجزين، ويتولد من هذا القسم أنواع أذى النوع الإنساني، والجرأة على الظلم والعدوان.

القسم الرابع: االذنوب البهيمية، وهي الذنوب التي يشبه الإنسان في فعلها البهائم، مثل: الشره، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنا، والسرقة، وأكل

أموال اليتامى، والبخل، والشح، والجبن، والهلع، والجزع، وغير ذلك، وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق؛ لعجزهم عن الذنوب الملكية، والسبعية، ومن هذا القسم يدخلون إلى سائر الأقسام، فهو يجرهم إليها بالزمام[1] .

○ المطلب السادس: أنواع المعاصي:

المعاصي نوعان: كبائر وصغائر، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد دل القرآن والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم، والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر»[2] ، قال الله عز وجل: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[3] ، وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٢٢-٢٢٣ .
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٢٣ .
(٣) سورة النساء، الآية: ٣١ .

وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[(١)] ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»** قلت: إن ذلك لعظيم. قال قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»**، قال، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«ثم أن تزاني حَليلة جارك»**[(٢)] .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»** وجلس وكان متكئاً فقال: **«ألا وقول الزور»** فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(٣)] .

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ٥/ ١٧٢، برقم ٤٤٧٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده، ١/ ٩٠، برقم ٨٦.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»، وفي رواية: «ما لم تغش الكبائر»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٢).

= الزور، ٢/ ٢٠٤، برقم ٢٦٥٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، ١/ ٩١، برقم ٨٧.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ١/ ٢٠٩، برقم ٢٣٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ

واختلف في حد الكبيرة وفي عدد الكبائر فقيل: إنها أربع، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وقيل: إحدى عشرة، وقيل: سبعون، وقيل: إن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما كم الكبائر أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار[1] .

والصواب: أن الكبائر لم تضبط بعدٍّ، وأنها كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو توعد عليه بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، أو العقوبة، أو نفي إيمان، وما لم يترتب عليه حد في الدنيا ولا

= ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، ٣/ ٢٥٦، برقم ٢٧٦٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٩٢، برقم ٨٩.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٨/ ٢٤٥، برقم ٩٢٠٧، وانظر: الأقوال في عدد الكبائر هذا المرجع، ٨/ ٢٣٣-٢٥٨، والفتح، لابن حجر، ١٢/ ١٨٣.

وعيد في الآخرة فهو صغيرة[١] ، ولكن قد تكون الصغائر من الكبائر لأسباب منها:

١- الإصرار والمداومة عليها، كما في قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار»[٢] .

٢- استصغار المعصية واحتقارها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عائشة إيَّاكِ ومُحقرَاتِ الأعمال فإن لها من الله طالباً»**[٣] .

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٤٤٤، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٤١٨، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) تقدم تخريجه قبل الهامش السابق.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ٢/ ١٤١٧، برقم ٤٢٤٣، وأحمد، ٦/ ٧٠، وصححه الألباني، في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤١٦، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥١٣، ٢٧٣١.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن وادٍ فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[١].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا»، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه[٢].

٣- الفرح بالصغيرة والافتخار بها، كأن يقول

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٥/ ٣٣١، وصحح إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٩٠، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ١٢٩، برقم ٣٨٩: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ٧/ ١٨٨، برقم ٦٣٠٨.

ما رأيتني كيف مزقت عرض فلان، وذكرت مساويه حتى خجَّلته، أو خدعته، أو غبنته.

٤- أن يكون عالماً يقتدى به، فإذا فعل العالم الصغيرة وظهرت أمام الناس كبر ذنبه.

٥- إذا فعل الذنب ثم جاهر به؛ لأن المجاهر غير معافى[١]، فينبغي لكل مسلم أن يبتعد عن جميع الذنوب صغيرها وكبيرها؛ ليكون من الفائزين في الدنيا والآخرة.

○ المطلب السابع: آثار المعاصي على الفرد والمجتمع:

أولاً: آثار المعاصي على الفرد:

(أ) آثارها على القلب:

١- ضرر المعاصي على القلب كضرر السموم على الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي، ص ٢٥٨.

الـدنيـا والآخـرة شرٌّ وداءٌ إلا سببـه الـذنـوب والمعاصي؟[١].

٢- حرمان العلم؛ فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفىء ذلك النور، وتعمي بصيرة القلب، وتسد طرق العلم، وتحجب موارد الهداية، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٢]، ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه فقال: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية»[٣]، وقال الشافعي رحمه الله:

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٨٤.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٠٤، ١٤٨، ١٧٣، ٢١٢.

شكــوتُ إلى وكيــعٍ سُــوْءَ حِفظــي
فــأرشــدني إلى تــرك المعــاصي
وأخبرني بـــأن علـــم الله نـــور
ونـــورُ اللهِ لا يهـــدى لعـــاصي[1]

٣- الوحشة في القلب بأنواعها: وحشة بين العاصي وبين ربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين الخلق، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، والوحشة التي بين العاصي وبين ربه لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تفِ بتلك الوحشة، ولو لم تترك الذنوب إلا حذراً من الوقوع في تلك الوحشة لكان العاقل حريًا بتركها.

وأما الوحشة التي بين العاصي وبين الناس ولاسيما أهل الخير منهم؛ فإنه يجد وحشة بينه

---

(١) ديوان الشافعي، ص ٨٨، وانظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٤.

وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بَعُد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان، بقدر ما بَعُدَ من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشاً بنفسه، قال بعض السلف: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلقِ دابتي وامرأتي»[١]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي»[٢]، وسر المسألة أن الطاعة توجب القرب من الربِّ سبحانه فكلما قوي القرب قوي الأنس، والمعصية توجب البعد من الرب، وكلما ازداد البعد قويت الوحشة، والوحشة سببها الحجاب، وكلما غلظ الحجاب زادت

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص١٠٥، ١٤٤.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٨/ ١٠٩.

الوحشة، فالغفلة توجب الوحشة، وأشد منها وحشة المعصية، وأشد منها وحشة الشرك والكفر، ولا تجد أحداً ملابساً شيئاً من ذلك إلا ويعلوه من الوحشة بحسب ما لابسه منه، فتعلو الوحشة وجهه، وقلبه، فيستوحِشُ ويُستوحشُ منه[1] .

٤- الظلمة في القلب؛ فإن العاصي يجد ظلمة في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتى يقع في البدع والضلالات، والأمور المهلكة وهو لا يشعر، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سواداً فيه يراه كل أحد[2] ، قال عبدالله بن عباس رضي الله

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٤٤.
(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٥-١٠٦.

عنهما: «إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»[١].

٥- توهن القلب وتضعفه؛ أما وهن القلب؛ فإن المعاصي لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية[٢].

وأما ضعف القلب؛ فإن المعاصي تضعفه من عدة وجوه، هي:

(أ) تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولابد شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرَّأ على معاصيه؛ فإن عظمة الله تعالى وجلاله

(١) المرجع الساق، ص ١٠٦.
(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٦.

في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[١] ، وتعظيم حرمات الله عز وجل في القلب تحول بين العبد وبين الذنوب[٢] .

(ب) تضعف المعصية إرادة الخير في قلب العبد وتقوي إرادة المعصية ، فتضعف في قلبه إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية ، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله ، فيأتي من الاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير ، وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى أمكنه وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك[٣] .

(ج) تضعف سير القلب إلى الله والدار

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٣٠ .
(٢) انظر : الجواب الكافي ، لابن القيم ، ص ١٣٤ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ١١٠ ، وص ٢٠٠ .

الآخرة، أو تعوقه أو توقفه وتقطعه عن السير، فالذنب إما أن يميت القلب أو يمرضه مرضاً مخوِّفاً، أو يضعف قوته ولابد، حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي ﷺ، فقال: **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»**[1]، والمقصود أن الذنوب من أقوى الأسباب الجالبة لهذه الثمانية، كما أنها من أقوى الأسباب الجالبة لـ: **«جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»**[2]، ومن أقوى الأسباب الجالبة لـ:

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال، ٧/ ٢٠٣، برقم ٦٣٦٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل، ٤/ ٢٠٧٩، برقم ٢٧٠٦.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء، ٧/ ١٩٩، برقم ٦٣٤٧، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء=

«زوال نعمة الله، وتحول عافيته، وفجأة نقمته، وجميع سخطه»[١] .

٦- تحجب القلب عن الرب في الدنيا، والحجاب الأكبر يوم القيامة، كما قال الله عز وجل: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٢] ، فكانت الذنوب حجاباً بينهم وبين قلوبهم، وحجاباً بينهم وبين ربهم وخالقهم[٣] .

٧- يألف المعصية، فينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه، وهذا عند أصحاب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة حتى

= القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٤/ ٢٠٨٠، برقم ٢٧٠٧ .

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، ٤/ ٢٠٩٧، برقم ٢٧٣٩، وانظر: الجواف الكافي، لابن القيم، ص ١٤٠ .

(٢) سورة المطففين، الآيتان: ١٤-١٥ .

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢١٥ .

يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يعلم أنه علمها، وهذا الضرب من الناس لا يعافون ويُسد عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كلُّ أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يشكف ستر الله عنه»**[1] .

٨- هوان المعاصي على المصرين عليها، فلايزال العبد يرتكب المعاصي حتى تهون عليه وتصغر في قلبه وعينه، وذلك علامة الهلاك؛ لأن الذنب كلما صغر في قلب العبد وعينه عَظُم عند

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ٧/ ١١٧، برقم ٦٠٦٩، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، ٤/ ٢٢٩١، برقم ٢٩٩٠ .

الله؛ ولهذا قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا»[١].

فالمؤمن قلبه فيه نور فهو على يقين من الذنب الصغير وليس على يقين من المغفرة فيخاف الذنب الصغير أن يهلكه كالجبل، والفاجر قليل المعرفة بالله ولذلك قل خوفه من الله واستهان بالمعصية[٢].

٩- تورث الذل، فإن العز كل العز في طاعة الله عز وجل، والذل كل الذل في معصية الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ

---

(١) البخاري في صحيحه ٧/ ١٨٨، برقم ٦٣٠٨، وتقدم تخريجه في ص ٩٤.
(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٠٥.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] ، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال، قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وَجُعِل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وَجُعِل الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٢] .

فمن أراد العزة فليطلبها بطاعة الله؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعته، وكان من دعاء بعض السلف: «اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك»، وقال الحسن البصري رحمه الله: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم أبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه»[٣] .

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ٢/ ٥٠، ٩٢، وابن أبي شيبة في المصنف، ٥/ ٣١٣، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٥/ ١٠٩ .

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١١٣ .

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله :

رأيت الذنوب تُميتُ القلوب
وقد يورثُ الذُّلَ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب
وخير لنفسك عصيانُها
وهل أفسد الدِّينَ إلا الملوكُ
وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها[١]

١٠-تفسد العقل وتؤثر فيه؛ فإن للعقل نوراً والمعصية تطفىء نور العقل، فإذا طفىء نورُه ضعف ونقص، وغاب، وما عصى الله أحد حتى يغيب عقله؛ لأن واعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له

(١) المرجع السابق، ص ١١٤ .

من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله ذو عقل سليم؟

ولاشك أن المعصية إن لم تفسد العقل فهي تنقص من كماله، فلا تجد عاقلين أحدهما مطيع لله والآخر عاصٍ إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح، ورأيه أسد، والصواب قرينه[١].

١١- تطبع على القلب، فإذا تكاثرت طبعت على قلب صاحبها فكان من الغافلين؛ لأن القلب يصدأ من المعصية فإذا ازدادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وختماً، وقفلاً، فيصير في غشاوة وغلاف[٢]، قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١١٤.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٥٣.
(٣) سورة المطففين، الآية: ١٤.

١٢- الذنوب تطفىء غيرة القلب؛ فإن أشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته، وعموم الناس؛ ولهذا كان النبي ﷺ أغير الخلق على الأمة، والله عز وجل أشد غيرة منه؛ ولهذا قال ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا أُمة محمد ما أحد أغير من الله أن يرى

---

(١) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»، ٨/ ٢٢٠، برقم ٧٤١٦، ومسلم، كتاب اللعان، ٢/ ١١٣٦، برقم ١٤٩٩.

عبده أو أمته يزني، يا أُمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم [الله] عليه»[٢] .

وعن جابر بن عتيك مرفوعاً: «إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة، والاختيال الذي يحب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة، والاختيال الذي يبغض الله عز وجل الخيلاء في

---

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ٦/ ١٩١، برقم ٥٢٢١ .

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ٦/ ١٩٦، برقم ٥٢٢٣، ومسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ٤/ ٢١١٤، برقم ٢٧٦١، واللفظ له، وما بين المعكوفين من صحيح البخاري.

الباطل»[1] ، والمقصود بالغيرة في الريبة : الغيرة في مواضع التهمة والتردد، فتظهر فائدتها، وهي الرهبة والانزجار، وإن كانت الغيرة بدون ريبة فإنها تورث البغض والفتن[2] ، والاختيال في الصدقة أن يكون سخياً، فيعطي طيبة بها نفسه، فلا يستكثر كثيراً ولا يعطي منها شيئاً إلا وهو مستقل، وأما الحرب: فأن يتقدم فيها بنشاط وقوة وعدم جبن[3] .

والمقصود أن العاصي كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه، وأهله، وعموم الناس، وقد تضعف في القلب

---

(١) النسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، ٥/ ٧٨، برقم ٢٥٥٨، وأحمد في المسند، ٥/ ٤٤٥، وله شاهد عند ابن ماجه برقم ١٩٩٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني بطرقه في إرواء الغليل، ٧/ ٥٨، برقم ١٩٩٩ .

(٢) انظر : حاشية السندي على سنن النسائي، ٥/ ٧٩ .

(٣) انظر : شرح السيوطي على سنن النسائي، ٥/ ٧٩ .

جداً حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه، ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك؛ ولهذا كان الديوث من أخبث الخلق والجنة حرام عليه؛ لأنه لا غيرة له؛ ولهذا رضي بالسوء في أهله، وهذا يدل على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب وتحمي له الجوارح، وتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح فلا يبقى عندها دفع ألبتة، وهذا يبين أهمية الغيرة ومكانتها(١) .

١٣- الذنوب تذهب الحياء من القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير كله، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياءُ خير كله**» أو قال:

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٠-١٣١ .

«الحياءُ كله خير»[1] .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[2] ، والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء عند العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية فلا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا بإطلاعهم عليه، بل كثير من أهل المعاصي يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع[3] ، وهذا ينطبق عليه أحد المعنيين لحديث أبي مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ١/ ٦٤، برقم ٣٧.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، ٧/ ١٣٠، برقم ٦١١٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ١/ ٦٤، برقم ٣٧.

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٣١-١٣٣.

الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[١] ، وهذا الحديث له تفسيرانَ:

التفسير الأول: أنه للتهديد والوعيد، والمعنى من لم يستح فإنه يصنع ما شاء من القبائح؛ لأن الحامل على تركها الحياء، فإذا لم يكن هناك حياء يردعه عن القبائح وقع فيها، وهذا المعنى هو المشهور.

التفسير الثاني: أن الفعل إذا لم تستح من الله من فعله فافعله وإنما ينبغي تركه هو ما يستحي منه من الله، فالمعنى الأول تهديداً كقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢] ، والمعنى الثاني: يكون إذناً وإباحة[٣] .

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، ٤/ ١٨٣، برقم ٣٤٨٣.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٠.
(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٢، وجامع الأصول، لابن الأثير، ٣/ ٦٢١.

١٤- المعاصي تلقي الخوف والرعب في القلوب، فلا ترى العاصي دائماً إلا خائفاً مرعوباً؛ فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج منه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه منه مخاوف، فمن خاف الله أمَّنه من كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء[1].

١٥- تمرض القلب، وتصرفه عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، وتأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب ولا دواء لها إلا تركها، وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، فكذا يكون قلبه في هذا الدار في جنة

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٤٣-١٤٤.

عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نعيماً ألبتة، ولا تحسبن أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[1] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة: دار الدنيا، والبرزخ، والقرار، فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ ولهذا قال بعض الصالحين: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. ويقول آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف[2] .

١٦- المعاصي تصغر النفوس، وتقمعها، وتدسِّيها، وتحقِّرها حتى تصير أصغر شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها، وتكبِّرها، قال الله عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣-١٤.
(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٤٧.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[١] ، والمعنى قد أفلح من كبرَّها وأعلاها بطاعة الله ، وأظهرها ، وقد خاب وخسر من أخفاها ، وحقَّرها وصغَّرها بمعصية الله ، فالطاعة تكبر النفوس وتعزها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه ، فما كبرَّ النفوس وشرفها ، ورفعها ، وأعزها مثل طاعة الله ، وما صغّر النفوس وأذلها ، وحقرها مثل معصية الله عز وجل[٢] .

١٧- خسف القلب ومسخه ، وعلامة خسف القلب أنه لايزال جوَّالاً حول السفليات والقاذورات والرذائل ، كما أن القلب الذي رفعه الله وقرَّبه إليه لايزال جوالاً حول العرش ، وأما مسخ القلب ، فإن من القلوب ما يمسخ بسبب المعاصي كما تمسخ الصورة فيصير القلب

---

(١) سورة الشمس ، الآيتان : ٩-١٠ .
(٢) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٤٩ .

على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه، وأعماله، وطبيعته، فمن القلوب ما يمسخ على قلب خنزير، لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يمسخ على قلب كلب، أو حمار، أو حية، أو عقرب، ومن الناس من يكون على أخلاق السباع العادية، ومنهم من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه، ومنهم من يكون بليداً كالحمار، وغير ذلك[١] .

١٨- المعاصي تنكس القلب حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويفسد ويرى أنه يصلح، ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنه على الهدى، وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلب[٢] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢١٣-٢١٤.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢١٥.

١٩- تُضَيِّق الصدر، فالذي يقع في الجرائم ويعرض عن طاعة الله يضيق صدره بحسب إعراضه، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، فمن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة ما سواه؛ فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به، وسجن قلبه في محبته[2].

(ب) آثار المعاصي على الدين:

٢٠ [١] تزرع المعاصي أمثالها، ويولد بعضها بعضاً، حتى يصعب على العبد التخلص منها،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٢) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٢٥.

كما قال بعض السلف: «إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها». وهكذا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة، فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى يعود إلى الطاعة، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره حتى يعاود المعصية[1] ، فعلى المسلم أن يقبل على الطاعة ويترك المعصية ويسأل الله عز وجل أن يحبب إليه الإيمان ويزينه في قلبه، ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ويجعله من الراشدين.

٢١ [٢] تحرم الطاعة وتثبط عنها، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة وتكون بدله ويقطع طريق طاعة أخرى لكان كافياً في

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٨.

ضرره، فالمعاصي تحرم الطاعات، وتقطع طرق الأعمال الصالحة(١) .

٢٢ [٣] المعصية سبب لهوان العبد العاصي على الله وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري رحمه الله: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم»(٢) ، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾(٣) ، ولو عظمهم الناس في الظاهر خوفاً من شرهم أو لحاجتهم إليهم، فإنهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه(٤) .

٢٣ [٤] تدخل الذنوب العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ، فإنه لعن على معاصٍ وغيرها أكبر منها، فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٠٦، ٢١٢ .
(٢) المرجع السابق، ص ١١٢ .
(٣) سورة الحج، الآية: ١٨ .
(٤) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١١٢ .

فلعن: الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة[١]، ولعن النامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى[٢]، ولعن آكل الربا وموكله، وكاتبه، وشاهديه وقال هم سواء[٣]، ومر على حمار قد وُسِمَ في وجهه فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»[٤]، ولعن السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده[٥]، ولعن من ذبح لغير الله، ومن آوى

---

(١) البخاري، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ٧/ ٨١، برقم ٥٩٣٣، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة، ٣/ ١٦٧٧، برقم ٢١٢٤.

(٢) البخاري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، ٧/ ٨١، برقم ٥٩٣١، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة، ٣/ ١٦٧٨، برقم ٢١٢٥.

(٣) مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، ٣/ ١٢١٨، برقم ١٥٩٧.

(٤) مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ٣/ ١٦٧٣، برقم ٢١١٧.

(٥) مسلم، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، ٣/ ١٣١٤، برقم ١٦٨٧.

محدثاً، ومن لعن والديه، ومن غير منار الأرض[١] ، ولعن المتشبهات بالرجال من النساء، والمتشبهين بالنساء من الرجال[٢] ، ولعن الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه [وآكل ثمنها][٣] ، ولعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً يرميه[٤] ، ولعن المصور[٥] ، ولعن من سب أباه، ومن سب أمه، ومن كمه أعمى عن

---

(١) مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله، ٣/ ١٥٦٧ ، برقم ١٩٧٨ .

(٢) البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، برقم ٥٨٨٥ .

(٣) أبو داود، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، ٣/ ٣٢٦، برقم ٣٦٧٤، وابن ماجه، كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، ٢/ ١١٢٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٧٠٠، وما بين المعكوفين لابن ماجه.

(٤) مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، ٣/ ١٥٥٠ ، برقم ١٩٥٨ .

(٥) البخاري، كتاب اللباس، باب من لعن المصور، ٧/ ٨٨، برقم ٥٩٦٢ .

الطريق، ومن وقع على بهيمة، ومن عمل بعمل قوم لوط[١] ، ولعن الراشي والمرتشي[٢] ، ولعن زوّرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[٣] ، ولعن من أتى امرأة في دبرها[٤] ، وأخبر أن من باتت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح[٥] ، وأخبر أن من أشار إلى

---

(١) أحمد في المسند، ١/ ٢١٧، وصحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند، ٣/ ٢٦٦، برقم ١٨٧٥ .

(٢) الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي، ٣/ ٦١٣ ، برقم ١٣٣٦ ، وأبو داود، كتاب الأقضية، باب كراهة الرشوة، ٣/ ٣٠٠، برقم ٣٥٨٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٤، وإرواء الغليل، برقم ٢٦٢٦ ، وفي صحيح سنن أبي داود برقم ٣٠٥٥ .

(٣) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء للقبور، ٣/ ٢١٨ ، برقم ٣٢٣٦، والترمذي، ٢/ ١٣٦ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/ ٣٠٨ .

(٤) أبو داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، ٢/ ٢٤٩، برقم ٢١٦٢ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٤٠٦ .

(٥) البخاري، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ٦/ ١٨٣ ، برقم ٥١٩٣ .

أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه[١]، وقد لعن الله عز وجل في كتابه من آذاه وآذى رسوله ﷺ[٢]، ولعن من أفسد في الأرض ونقض عهد الله وقطع ما أمر الله به أن يوصل[٣]، ولعن من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى[٤]، ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة[٥]، ولعن من جعل سبيل الكافرين أهدى من سبيل المؤمنين[٦]، ولعن الله ورسوله على أشياء غير هذه، فلو لم يكن في فعل ذلك إلا رضاء فاعله بأن يكون ممن يلعنه الله ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو إلى تركه، فليبتعد العاقل عن كل

(١) مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم، ٤/ ٢٠٢٠، برقم ٢٦١٦.
(٢) انظر: سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٣) انظر: سورة الرعد، الآية: ٢٥.
(٤) انظر: سورة البقرة، الآية: ١٥٩.
(٥) انظر: سورة النور، الآية: ٢٣.
(٦) انظر: سورة النساء، الآيتان: ٥١-٥٢.

معصية حتى ينجو، والله المستعان[1] .

٢٤ [٥] حرمان دعوة الرسول ﷺ والملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وبين سبحانه أن الملائكة يستغفرون لهم، قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[2] ، فهذا دعاء

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١١٥-١١٩ .

(٢) سورة غافر، الآيات: ٧-٩ .

الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل لهم غيرها فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدعوة[١] .

٢٥ [٦] المعاصي تسبب نسيان الله لعبده ونسيان العبد نفسه، فإذا نسى الله العبد فهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٢] فقد أخبر الله عز وجل أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه: أي أنساه مصالحها وما ينجيها من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية، وكمال لذتها وسرورها، ونعيمها، فأنساه الله ذلك كله جزاء

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١١٩-١٢٠ .

(٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٨-١٩ .

لما نسيه من عظمة الله وخوفه، والقيام بأمره، فترى العاصي مهملاً لمصالح نفسه مضيعاً لها، قد أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وانفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته وفرط في سعادته الأبدية، واستبدل بها أدنى ما يكون من لذة، وإنما ذلك متاع زائل لا خير فيه، كما قيل:

أحــلام نــوم أو كظــل زائــل
إن اللبيــب بمثلهــا لا يخــدع

وأعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه وإهماله لها، وإضاعة حظها، ونصيرها من الله وبيعها ذلك بالغبن والهوان وأبخس الثمن، فضيع ما لا غنى له عنه ولا عوض له منه:

مــن كــل شيء إذا ضيعتــه عــوضٌ
ومــا مــن الله إن ضيعتــه عــوضُ

فالله عز وجل يعوِّض عن كل ما سواه ولا

يعوِّض عنه شيء[١] .

٢٦ [٧] تخرج صاحبها من دائرة الإحسان، فإن من عقوبات المعاصي أن تمنع العاصي ثواب المحسنين؛ فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي؛ لأن المحسن يعبد الله كأنه يراه، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية فضلاً عن الوقوع فيها[٢] .

٢٧ [٨] تفوِّت ثواب المؤمنين ومن فاته ثواب المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم فاته كل خير رتبه الله في كتابه على الإيمان وهو نحو مائة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها، ومنها:

أ - الأجر العظيم: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٣٥-١٣٦، و ١٩٠-١٩٥ .
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٣٧ .
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٦ .

ب- الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١).

ج- موالاة الله لهم ولا يذل من والاه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى﴾(٢).

د- ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٣).

هـ- معية الله لهم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

و- الرفعة في الدنيا والآخرة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٥).

ز- العزة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٥) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٦) سورة المنافقون، الآية: ٨.

ح - إعطاؤهم نصيبين من رحمته وإعطاؤهم نوراً يمشون به ومغفرة ذنوبهم.[1]

ط - أمانهم من الخوف يوم يشتد الخوف: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

ي - القرآن هدى لهم وشفاء: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[3].

والمقصود أن الإيمان سبب جالب لكل خير في الدنيا والآخرة، وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه عدم الإيمان، فكيف يهون على العبد أن يرتكب شيئاً يسبب له الخسارة في الدنيا

---

(١) انظر: سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

والآخرة، فإن الإصرار على الذنوب يسبب الرين على القلوب، فيخاف أن يستمر على ذلك فيسبب له ارتكاب ما يخرجه عن الإيمان بالكلية، ومن هنا اشتد خوف السلف فقال بعضهم: «أنتم تخافون الذنوب وأنا أخاف الكفر»[١] .

٢٨ [٩] توجب القطيعة بين العبد والرب، وإذا وقعت القطيعة بين العبد وربه انقطعت عنه أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر، فأي فلاح، وأيُّ رجاء، وأيُّ عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه وبين وليّه ومولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين[٢] .

٢٩ [١٠] المعاصي تجعل صاحبها أسيراً للشيطان وفي سجن شهواته وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا أسير أسوأ حالاً من

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٣٩، وص ٢١٧-٢١٩.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٥٥، ١٩٥، ١٤٤.

أسيرٍ أسَرَهُ أعدى عدوٍّ له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ والله المستعان[1].

٣٠ [١١] المعاصي تجعل صاحبها من السفلة؛ فإن الله خلق خلقه قسمين: عُلية، وسفلة، وجعل عليين مستقر العلية، وأسفل سافلين مستقر السفلة، وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة[2].

٣١ [١٢] تُسْقِط الكرامة، من عقوبات المعاصي: سقوط الجاه، والمنزلة والكرامة عند الله عز وجل؛ فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم[3]،

---

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٥٠.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٦١.
(٣) ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاش بينهم أسوأ عيش: خامل الذكر، ساقط القدر، رزيّ الحال، لا حرمة له، ولا فرح له، ولا سرور؛ فإن خمول الذكر، وسقوط القدر والجاه جالب لكل غمٍّ وهمٍّ وحزن، ولا سرور معه، ومن أعظم نعم الله على العبد الطائع أن يرفع له بين العالمين ذكره، ويعلي قدره[1] .

٣٢ [١٣] كراهية الله للعاصي، قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[2] ، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[3] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٥١ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦ .
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٧ .

(ج) آثار المعاصي على البدن:

للمعاصي آثار على بدن العاصي، منها على سبيل المثال ما يأتي:

٣٣ [١] العقوبات الشرعية، إذا لم تَرُع العاصي العقوبات السابقة ولم يجد لها تأثيراً في قلبه، فلينظر إلى العقوبات الشرعية التي شرعها الله عز وجل ورسوله ﷺ على الجرائم وهي: الحدود، والكفارات، والتعزيرات.

أما الحدود فهي: قتل المرتد، وحد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد شرب الخمر، وهذه تحفظ الضرورات الخمس: «حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال»، وما شرع الله عز وجل هذه الحدود والقصاص إلا لحفظ هذه الضرورات الخمس.

وأما الكفارات: فمنها: كفارة قتل الخطأ، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع في نهار رمضان، والوطء في الإحرام، وفي الحيض، والنفاس، وكفارة اليمين.

وأما التعزيرات: فهي حسب ما يراه الحاكم المسلم وأنه يردع ويزجر[1]، ولا يصل التعزير إلى الحد، إلا إذا كان الجرم عظيماً فقد يصل التعزير إلى القتل، وذلك حسب القواعد الشرعية، لا على حسب هواه[2].

٣٤ [٢] العقوبات القدرية، وهي نوعان: نوع على القلوب والنفوس، ونوع على الأبدان

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٠١-٢٠٧، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١١٦-١١٨.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة من رئاسة البحوث العلمية، قرار هيئة كبار العلماء رقم ١٣٨، في محكم مهرب ومروج المخدرات، العدد الحادي والعشرون، ص ٣٥٥.

والأموال، فالعقوبات القدرية على القلوب: آلام وجودية يضرب بها القلب، وقطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه، وإذا قطعت عنه حصل له أضدادها.

والعقوبات على الأبدان نوعان: نوع في الدنيا ونوع في الآخرة، والمقصود أن عقوبات السيئات تتنوع إلى عقوبات شرعية، وعقوبات قدرية، وهي إما في القلب، وإما في البدن، وإما فيهما، وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت، وعقوبات يوم حشر الأجساد(١).

والخلاصة أن العقوبات القدرية: هي ما يصيب الإنسان في دينه، أو دنياه، أو كليهما: من الفتن، والمحن، والابتلاء، بسائر المصائب على اختلاف أشكالها، وهي على ثلاثة أنواع:

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٠٨-٢١١.

منها ما يكون لرفع الدرجات، ومنها ما يكون لتكفير السيئات، ومنها ما يكون عقاباً للإنسان على ظلمه وعدوانه، وعصيانه لربه، وهذه الدرجة الأخيرة عامة للمسلم والكافر كل على حسب ذنبه وجرمه[١].

٣٥ [٣] والمعاصي توهن البدن؛ فإن المؤمن قوته من قلبه، وكلما قوي قلبه قوي بدنُه، وأما الفاجر فإنه وإن كان قوي البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته أحوج ما يكون إلى نفسه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم»[٢].

---

(١) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١١٨.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٠٦.

(د) آثار المعاصي على الرزق:

٣٦ [١] المعاصي تحرم الرزق، ولاشك أن الرجل قد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١]، فكذلك ترك تقوى الله مجلبة للفقر، وهذا مفهوم الآية؛ فإن من لم يتق الله لا يجعل الله له مخرجاً ولا يرزقه من حيث لا يحتسب، وما استجلب رزق بمثل ترك المعاصي[٢].

٣٧ [٢] تزيل النعم، فالمعاصي تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما ذكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٤.

رفع إلا بتوبة»[١] ، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[٢] ، وقال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[٣] ، فلا يغير الله تعالى نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيَّر غُيِّر عليه جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن غير المعصية بالطاعة غيرَّ الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ

(١) المرجع السابق، ص ١٤٢.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[١] .

ولقد أحسن القائل :

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ
وحطها بطاعة ربِّ العباد
فربُّ العباد سريع النقم[٢]

٣٨ [٣] تزيل البركة في المال وقد تتلفه ، ومن ذلك أن من كذب في بيعه وشرائه وكتم العيوب في السلعة عوقب بمحق البركة ، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**»[٣] ،

(١) سورة الرعد، الآية : ١١ .
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم ، ص ١٤٢ .
(٣) متفق عليه : البخاري ، كتاب البيوع ، باب إذا بين البيعان ولم=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»(١) ، والمعنى أن من أخذ أموال الناس يريد أداءها فإن الله يفتح عليه في الدنيا فييسر له أداءه، أو يتكفل الله به عنه يوم القيامة، ومن أخذها يريد إتلافها وقع له الإتلاف في معاشه وماله، وقيل: المراد بذلك عذاب الآخرة(٢) .

(هـ) آثار المعاصي العامة على الفرد:

٣٩ [١] تمحق البركات: بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالجملة تمحق بركات الدين

= يكتما ونصحا، ٣/ ١٤، برقم ٢٠٧٩، ومسلم، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، ٣/ ١١٦٤، برقم ١٥٣٢ .

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ٣/ ١١٣، برقم ٢٣٨٧ .

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٥/ ٥٤ .

والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره، ودينه، ودنياه ممن عصى الله، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، فالمعاصي سبب لمحق البركات في كل شيء. فينبغي للمسلم أن يهرب من المعاصي حتى تحصل البركة في دينه ودنياه وآخرته[2].

٤٠ [٢] المعاصي مجلبة للذم، فإن من عقوباتها أن تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والوَرِع، والصالح، والعابد، والطيِّب، ونحو ذلك. وتكسوه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٥٧-١٦١.

والمفسد، والخبيث، والكاذب، والخائن، وقاطع الرحم، والغادر، والفاجر، وأمثالها. فلو لم يكن في عقوبة المعصية إلا استحقاق تلك الأسماء القبيحة وموجباتها لكان في العقل ناهٍ عنها. والله المستعان[1].

٤١ [٣] المعاصي تجرِّي على الإنسان أعداءه، وهذا من عقوباتها على فاعلها، فتجرِّي عليه الشياطين بالأذى والإغواء، والوسوسة، والتخويف، والتحزين، وإنسائه ما فيه مصلحته. وتجري عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره. وتجرئ عليه أهله، وخدمه وأولاده، وجيرانه، وهذا يكفي في قبح المعاصي. والله المستعان[2].

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٥٢.
(٢) انظر: الجواب الكافي، ص ١٦٦.

٤٢ [٤] تضعف العبد أمام نفسه، وهذا من أعظم عقوبات المعاصي، فإنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه؛ فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده، وأعلم الناس أعرفهم بذلك على التفصيل، والمعاصي تخون العبد في تحصيل هذا العلم وإيثار الحظ العالي الدائم على الحظ الخسيس المنقطع، فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم، وعن الاشتغال بما هو أولى به وأنفع له في الدارين، فإذا وقع في مكروه واحتاج إلى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه، وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ ولزمه في غمده بحيث لا ينجذب إذا جذبه، فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه، فدهمه العدو وظفر به، فكذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخناً بالمرض فإذا

احتاج إلى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئاً، والعبد إنما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع للقلب.

والمقصود أن العبد إذا وقع في شدة أو كربة أو بليّة خانه قلبه، ولسانه، وجوارحه عما هو أنفع شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله تعالى والإنابة إليه، والتذلل والانكسار بين يديه، ولا يطاوعه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فحينئذٍ يذكره بقلب لاهٍ ساهٍ غافل، ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه. هذا كله أثر الذنوب والمعاصي.

وهناك أمر أخوف من ذلك وأدهى منه وهو أن يخون العاصي قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله فربما تعذر عليه النطق بالشهادة،

كما شهد الناس كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك. وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله كثيراً من هذه الوقائع، منها: أن رجلاً شحاذاً قال عند موته: «فلس لله، فلس لله» حتى خرجت روحه، وقيل لتاجر عند موته قل لا إلـٰه إلا الله، فقال: «هذه القطعة رخيصة هذا مُشترَى جيد» حتى قضى، ولقن آخر: «لا إلـٰه إألا الله»، فقال: «كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها» وغير ذلك من القصص كثير[1]، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

٤٣ [٥] مكر الله بالماكر، ومخادعته للمخادع، واستهزاؤه بالمستهزئ، وإزاغته لقلب الزائغ عن الحق، وكل ذلك من عقوبات المعاصي، وأضرارها، نسأل الله العافية[2].

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٦٨-١٧١.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢١٥.

٤٤ [٦] المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ، والعذاب في الآخرة كل ذلك من عقوبات المعاصي، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١) ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ: في دنياه، وفي البرزخ، ويوم معاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلـٰهها، ومعبودها الذي هو الحق وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله قرَّت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات»(٢) .

٤٥ [٧] تعسير أموره عليه، وهذا من أعظم ما يصيب العاصي، فلا يتوجَّهُ لأمر إلا يجده مُغلقاً

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤ .
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢١٦ .

دونه، أو متعسراً عليه، وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً، فمن عطل التقوى جعل له من أمره عسراً، ويا لله العجب كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من أين أُتي؟[١].

٤٦ [٨] تقصر المعاصي العمر وتمحق بركته ولابد فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر، وقد اختلف العلماء في ذلك فقالت طائفة: نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تأثير المعاصي.

وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق، فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسباباً كثيرة تكثره وتزيده، وللبركة في العمر أسباباً

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٥.

تكثره وتزيده. ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب، فالأرزاق والآجال، والصحة والمرض، والغنى والفقر، وإن كانت بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي ما يشاء بأسباب جعلها لمسبباتها مقتضية لها.

وقالت طائفة أخرى: تأثير المعاصي في محق العمر إنما هو بأن حقيقة الحياة هي حياة القلب، وعمر الإنسان مدة حياته فليس عمره إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره، فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها، فإذا أعرض العبد عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية[١].

٤٧ [٩] يرفع الله مهابة العاصي من قلوب

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٠٧.

الخلق، وهذا من بعض عقوبات المعاصي، فلاشك أنه يهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظمه الناس، وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته؟ أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس، أم كيف يستخف بمعاصي لله ولا يستخف به الخلق؟[1] قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[2] .

(و) آثار المعاصي على الأعمال:

لا شك أن الأعمال تتأثر في بعض الأحوال بالمعاصي ومن ذلك ما يأتي:

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٢) سورة الحج، الآية: ١٨ .

٤٨ [١] عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة، بيضاً فيجعلها عز وجل هباءً منثوراً**» قال ثوبان رضي الله عنه: يا رسول الله صفهم لنا، جَلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[١]، قلت: ولعل هؤلاء استحلوا هذه المحارم، أو عملوا عملاً يخرجهم عن الإسلام، أو لهم غرماء أُعطوا هذه الحسنات كلها، والله عز وجل أعلم.

٤٩ [٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ٢/ ١٤١٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ١٧، برقم ٥٠٥، وفي صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤١٧.

رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة: بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[١].

ثانياً: آثار المعاصي على المجتمع:

المعاصي لها تأثير عظيم على المجتمعات والأمم ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

٥٠ [١] إهلاك الأمم بسبب المعاصي، لاشك أن جميع الأضرار في الدنيا والآخرة

---

(١) أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٧، برقم ٢٥٨١.

تحصل بسبب المعاصي.

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة، والنعيم، والبهجة، والسرور، إلى دار الآلام، والأحزان، والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدِّل بالقرب بُعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظىٰ، وبالإيمان كفرا؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماءُ فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم

وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم اتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم: فالأجساد للغرق

والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون، وداره، وماله، وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمَّرها تدميراً؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟[1]

لاشك أن الذي أصاب هؤلاء جميعاً وأهلكهم هي ذنوبهم.

٥١ [٢] إزالة النعم، فالمعاصي تزيل النعم بأنواعها؛ فإن شكر الله على نعمه يزيدها، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ص ٨٤-٨٦.

﴿لَشَدِيدٌ﴾[١] ، ونعم الله على عباده كثيرة لا تحصى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] ، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣] .

ومن هذه النعم على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أ - نعمة الإيمان، وهي أعظم النعم على الإطلاق.

ب- نعمة المال والرزق الحلال.

ج - نعمة الأولاد.

د - نعمة الأمن في الأوطان.

هـ- نعمة العافية في الأبدان[٤] .

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٤) انظر: الجواب الكافي، ص ١٤٢، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١٤١-١٥٠.

وهذه النعم وغيرها تزيد بالشكر، وتزول أو تنقص، أو لا يبارك فيها للعبد بالذنوب والمعاصي، والاعراض عن الله عز وجل. قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[1].

٥٢ [٣] نزول العقوبات العامة المهلكة، ومنها ما يأتي:

أ - ظهور الطاعون.
ب- نزول الأوجاع التي لم تكن في الأسلاف الذين مضوا.
ج - الأخذ بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.
د - منع القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.
هـ- تسليط الأعداء.
و - يجعل الله بأسهم بينهم.

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الفتن، باب العقوبات، ٢/ ١٣٣٢، برقم ٤٠١٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٤/ ٥٤٠، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٣٧٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٧، برقم ١٠٦.

وهذا من أعلام نبوة محمد ﷺ فقد وقع ذلك كله بمن وقع في هذه المعاصي، ومن الأدلة المحسوسة على ذلك مرض الإيْدز الذي وقع بمن أعلنوا بالفواحش، نسأل الله العافية[1].

٥٣ [٤] حلول الهزائم، فإن ذلك بأسباب المعاصي والإعراض عن دين الله عز وجل، كما أن من أسباب النصر الطاعة والإقبال على الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[2]، وقال سبحانه:

---

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص ٥٠٦.

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥-٤٧.

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴾[١] ، وقال الله عز وجل: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٣] ، وقال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾[٤] ، فالأخذ بهذه الأسباب من أعظم أسباب النصر وتركها من أعظم أسباب حلول الهزائم والخسارة في الدنيا والآخرة[٥] .

٥٤ [٥] المعاصي مواريث الأمم الظالمة،

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١ .
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧ .
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠ .
(٤) سورة محمد، الآيتان: ٧-٨ .
(٥) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص١٥٣-١٥٤ .

فليحذر المسلم أن يرث المعاصي عن الظالمين، فإن اللوطية: ميراث عن قوم لوط، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص: ميراث عن قوم شعيب، والعلو في الأرض بالفساد ميراث عن قوم فرعون، والتكبر والتجبر: ميراث عن قوم هود، وغير ذلك، فالعاصي لابس ثياب هذه الأمم وهم أعداء الله عز وجل[1].

٥٥ [٦] المعاصي تؤثر حتى على الدواب، والأشجار، والأرض وعلى المخلوقات.

٥٦ [٧] تسبب عذاب القبر، وعذاب يوم القيامة، وعذاب النار، نعوذ بالله من ذلك[2].

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١١١.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٤، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١٦٤-٢٢٢.

○ **المطلب الثامن: العلاج:**

إن العباد لهم منجيات تنجيهم من المهالك والجرائم، والمصائب إذا حلت بهم، وتنجيهم من حلول العقوبات قبل نزولها، وتسبب لهم السعادة في الدنيا والآخرة ومن هذه الأمور ما يأتي:

أولاً: التوبة النصوح والاستغفار من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، قال الله عز وجل: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣]، وقد مدح الله المسارعين إلى

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

التوبة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١] ، وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[٢] ، والتوبة لها فضائل عظيمة يجنيها التائب، ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

١- محبة الله للتوابين، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٣] .

٢- فرح الله عز وجل بتوبة عبده إليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥ .
(٢) سورة طه، الآية: ٨٢ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ .

طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[١] .

٣- تبديل الله عز وجل السيئات حسنات، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا * يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٢] .

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ٧/ ١٨٩ . برقم ٦٣٠٩، ومسلم واللفظ له، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٤/ ٢١٠٤، برقم ٢٧٤٧ .

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠ .

٤- التوبة الخالصة الصادقة من جميع الذنوب يدخل الله صاحبها الجنة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

والتوبة لها شروط وأركان لا تقبل إلا بها وهي:

أ - الإقلاع عن المعصية وتركها.

ب- العزيمة على عدم العودة إليها أبداً.

ج - الندم على فعلها.

د - إن كانت المعصية في حق آدمي فلها شرط

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

أو ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق ورد الحقوق.

لا تنفع التوبة عند الغرغرة، أو بعد طلوع الشمس من مغربها[١].

ثانيا: تقوى الله عز وجل، في السر والعلن، وهي أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله. ويجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك[٢].

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ١/ ٢٠١-٤٤٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٥٩، والآداب الشرعية لابن مفلح، ١/ ٨٥-١٥٦، وغذاء الألباب، للسفاريني، ٢/ ٥٦٨-٥٩٦.

(٢) انظر: ص ٧ من هذا البحث.

وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١] ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعُنُّه فلا يستجيب لكم»[٢] ، وقال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[٣] .

رابعاً: الاقتداء بالنبي ﷺ، في جميع الاعتقادات، والأقوال والأفعال[٤] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ .

(٢) الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤/ ٤٦٨، برقم ٢١٦٩، وأحمد واللفظ له في مسنده، ٥/ ٣٨٨، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٢٣٣ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥ .

(٤) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، ص ٣٠٣-٣٢٢ .

خامساً: الدعاء والالتجاء إلى الله عز وجل :

١- الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلَّف عنه أثره: إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله ؛ لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله عز وجل، وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وإما لعدم توفر شروط الدعاء المستجاب[1] .

٢- الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء: يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن[2] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٢، ٣٥.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.

٣- مقامات الدعاء مع البلاء ثلاثة :

أ - أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

ب- أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .

ج- أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه[١] .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»**[٢] ، وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يردُّ القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العُمرِ إلا البر»**[٣] .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤، ٣٥-٣٧.

(٢) الحاكم، ١/ ٤٩٣، وأحمد في المسند، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٣/ ١٥١، برقم ٣٤٠٢.

(٣) الترمذي، في كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا بالدعاء، ٤/ ٤٨٤، برقم ٢١٣٩، بلفظه، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأخرجه الحاكم بنحوه، ١/ ٤٩٣، من حديث ثوبان وصححه ووافقه=

٤- الإلحاح في الدعاء من أنفع الأدوية، فالمسلم الصادق يقبل على الدعاء، ويلزمه ويواظب عليه، ويكرره في أوقات الإجابة، وهذا من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء[١] .

٥- آفات الدعاء: إن من آفات الدعاء التي تمنع ترتب أثره، أن يستعجل العبد ويستبطىء الإجابة، فيستحسر ويترك الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً فجعل يتعهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله[٢] .

٦- أوقات إجابة الدعاء مهمة ينبغي أن

= الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٧٦، برقم ١٥٤، وفي صحيح سنن الترمذي، لشاهده من حديث ثوبان عند الحاكم، وعند ابن ماجه برقم ٤٠٢٢، وأحمد، ٥/ ٢٧٧.

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص ٢٥، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف [الكتاب]، ص ٥١-٥٢.

(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٦، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف [الكاتب]، ص ٣٩.

يعتني الداعي في دعائه بها، ومن أعظمها: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى صلاة الجمعة، وآخر ساعة بعد عصر يوم الجمعة، فإذا حضر القلب في هذه الأوقات وصادف خشوعاً وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له وتضرعاً ورقة، واستقبل الداعي القبلة؛ وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنَّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة، وتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته، وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً[١] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٧-٢٨، وشروط الدعاء=

٧- أهم ما يسأل العبد ربه، لاشك أن العبد يسأل الله كل شيء يحتاجه في أمر دينه ودنياه؛ لأن الخزائن كلها بيده سبحانه وتعالى، وهو عز وجل لا مانع لما أعطى ولا مطعي لما منع، ويحب عز وجل أن يسأل، فليسأله العبدُ كل شيء يحتاجه حتى شِسعَ نعله، ويهتم العبد اهتماماً بالغاً بالأمور المهمة العظيمة التي فيها السعادة الحقيقة ومن أهم ذلك تسعة أمور هي:

الأمر الأول: سؤال الله: الهداية والسداد.

الأمر الثاني: سؤال الله: المغفرة لجميع الذنوب.

الأمر الثالث: سؤال الله عز وجل: الجنة والاستعاذة به من النار.

الأمر الرابع: سؤال الله سبحانه: العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

= وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف [الكاتب]، ص ٤٥-٩١.

الأمر الخامس: سؤال الله عز وجل: الثبات على دينه.

الأمر السادس: سؤال الله سبحانه: حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

الأمر السابع: سؤال الله تعالى: دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها.

الأمر الثامن: الاستعاذة بالله: من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

الأمر التاسع: سؤال الله: صلاح الدين والدنيا والآخرة[1]

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وينفع به كل من انتهى إليه، فإنه تعالى خير مسؤول وأكرم

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/٣٨-٤٠، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، للمؤلف، ص ١٣٦-١٤٩.

مأمول وهو حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه: نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

الفهرس